

الشيخ مصطفى ملص : الاختلاف سنة الله في خلقه وعوامل الاختلاف هي عوامل صحية في المجتمعات



قال رئيس اللقاء التضامني الوطني في لبنان "الشيخ مصطفى ملص"، ان "الله عز وجل بيّن بأن الاختلاف والتنازع سنة الله في خلقه، فهو خلقهم مختلفين رغم كثرة المشتركات بين بني البشر"؛ مبينا ان "عوامل الاختلاف هي عوامل صحية في المجتمعات المتعددة وأيضا في المجتمع الواحد لأن الاختلاف والتنوع يؤديان إلى التكامل في النظرة السليمة إليهما وليس كما يفهم ضيقو الأفق الذين لا يرون أبعد من أنوفهم ويريدون أن يكون الناس على فهم واحد ورؤية واحدة يقادون كما يقاد القطيع".

الشيخ ملص قال ذلك في كلمته خلال الاجتماع الافتراضي لمؤتمر الوحدة الاسلامي الـ 37 الذي اقيم اليوم بمشاركة كوكبة من العلماء والمفكرين من ايران ومختلف بلدان العالم. ونوه رجل الدين اللبناني، بالدور الايجابي لمؤتمرات الوحدة الاسلامية التي تقام سنويا برعاية المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية في سياق لم شمل المسلمين؛ قائلا : يسعدني أن أشارك في هذا المؤتمر العزيز على قلوبنا .. ولا يسعني أن أتحدث دون أن أقف عند ذكرى رجلين عظيمين من رجال مجمع التقريب كانا علمين كبيرين من أعلامه وهما سماحة "آية الله" الشيخ محمد واعظزاده خراساني، و"آية الله" الشيخ محمد علي التسخيري" رحمة الله عليهما.

كما تطرق الى "موضوع الحرية الفكرية والدينية وقبول الاجتهاد المذهبي"، مبينا : لقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسلا مبشرين ومنذرين، فكان خطاب الله سبحانه وتعالى للبشر عبر الأنبياء والكتب التي أنزلت عليهم، هو خطاب تبيين وتصحيح ودل هذا الخطاب في القرآن الكريم على أن الرسل مجرد رسل تبليغ وبيان وإقناع، وليس رسل فرض وإكراه وإجبار، ومهمتهم الإرشاد والتوجيه، وللناس حرية الرفض والقبول مع تحمل نتائج خياراتهم التي يختارونها.

واضاف : ان معظم الأنبياء كما هو مذكور في القرآن الكريم، لم يكونوا مقاتلين ولا قادة جيوش ما خلا داوود (عليه السلام) الذي ورث الملك بعد أن فتك بخصمه جالوت، وبقية الأنبياء كانوا يلجأون بعد فشلهم في إصلاح مجتمعاتهم إلى الله سبحانه وتعالى لينزل العقوبة على مستحقيها من الكفار الذين لم يكن إنكارهم إنكارا نظريا فقط، بل كان في تمسكهم بأفعالهم السيئة التي يؤثر سوءها في مجتمعاتهم.

وتابع : فنوح عليه السلام [دَعَا رَبَّهُ أَنْ نَبِّئْ مَعْلُوبُ فَإِنْ تَصِرْ] وموسى عليه السلام فر بقومه من فرعون وجيشه الذين أبوا أن يخلوا السبيل لموسى ليذهب بقومه [فَأَتَتْ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ] و جندوده فغشيه هم من المليم ما غشيه هم وأضل قومه قومه مه وما هدى.

واستطرد الشيخ ملص : في الإسلام جاءت الآيات والأوامر الإلهية بعدم الإعتداء مطلقا ، وفي حال تعرض المؤمنون للإعتداء فقد أبح لهم الدفاع عن أنفسهم لحمايتهم ولحماية الجماعة المؤمنة، حيث قال الله تعالى : [لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ]، وقال أيضا [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]، ولا يُقبل ممن أكره على الإسلام عمل مهما كان هذا العمل، طالما أن هذا المكره لا يؤمن به ولا يرسوله؛ فالقاعدة أيضا هي الإيمان بالقناعة وتسليم بصدق الرسول والرسالة وفي حال لم تحصل هذه القناعة فليس للمسلم على غير المسلم شيء ويترك لما يؤمن به من عقيدة أو دين كما قال تعالى: [قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنتَا عَابِدُونَ مَا عَابِدْتُمْ وَلَا أَنتُمْ وَلِي دِينٍ].

وتساءل قائلا : فإذا كان الأمر كذلك مع منكري الرسالة والكافرين بها ، فما هو حال المختلفين في الفهم والفقه والرؤية ضمن الدين الواحد وبين أتباع المعتقد الواحد الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بموجب تكليفهم القرآني الذي أوجب عليهم التفكير والتعقل والتدبر في فهم الدين ونصوصه وآياته وأحكامه؟!

ومضى الى القول، ان "الحقيقة هي أن تجارب الناس والأمم والمجتمعات مختلفة والتجربة الإسلامية تحمل من الدلالات والشواهد على حرية التفكير والاجتهاد ما جعل التراث الديني الإسلامي من أغنى وأوسع وأعظم ما يمكن تخيله، والمنطلق أو المرتكز الأساسي لهذا التراث الواسع هو النص القرآني.

وأوضح : حينما نقول أن في التراث الإسلامي مئات المذاهب الفكرية والفقهية فهذا لا يعنى أن المذاهب

التي عرفها الإسلام هي المذاهب الثمانية التي نعرفها في هذا اليوم، بل هناك المئات من المذاهب التي إندثرت لعوامل كثيرة لا مجال لذكرها، إندثرت في التعامل بين الناس ولكنها بقيت في طيات الكتب والمراجع؛ مردفاً : وإذا كان ذلك قد صح بالنسبة للأولين فليس هناك ما يمنع من صحتة للمتأخرين وإلى قيام يوم الدين وإذا كان الرأي يستند إلى العقل والدليل والمنطق فلا يعني هذا القطع بصحته فما يصح عند فلان قد لا يصح عند سواه وما ثبت من دليل لدى بعضهم قد لا يثبت عند غيرهم ولكن عندما نناقش المسئلة فإننا نستطيع أن نتهم الدليل ونتهم الفهم ولكن لا يقبل منا أن نتهم النوايا والمقاصد. واكمل الشيخ ملص : طالما أن المسلمين يسلمون بوجود المذاهب الاجتهادية على تعددها، فمن المنطقي أن يقبل بعضهم بعضا وأن يقرؤا بحق الآخرين في أن تكون لهم رؤيتهم في الدين ومسائله ورؤيته لأهدافه وتاريخه، وعلى كل جيل أن ينظر في أمر الدين وأن يفكر ويتدبر ويسعى للمواءمة بين الدين والواقع وأن لا يقتصر على إعتقاد ما نُقل دون البحث في مدى صوابيته ومواءمته للعصر.